34 - ـ فصل : نقد الصوفية .

تفكرت فرأيت أن حفظ المال من المتعين و ما يسميه جهلة المتزهدين توكلا من إخراج ما في اليد ليس بالمشروع فإن النبي صلى ا عليه و سلم قال لكعب بن مالك : [أمسك عليك بعض مالك] أو كما قال له و قال لسعد : [لأن تترك ورثتك أغنياء خير من أن تتركهم عالة يتكففون الناس] .

فإن اعترض جاهل فقال : فقد جاء أبو بكر Bه بكل ماله .

فالجواب أن أبا بكر صاحب جأش و تجارة فإذا أخرج الكل أمكنه أن يستدين عليه فيتعيش .

فمن كان على هذه الصفة لا أذم إخراجه لماله و إنما الذم متطرق إلى من يخرج ماله و ليس من أرباب المعائش .

أو يكون من أولئك إلا أنه ينقطع عن المعاش فيبقى كلا على الناس يستعطهم و يعتقد أنه على الفتوح و قلبه متعلق بالخلق و طعمه ناشب فيهم .

و مت حرك بابه نهض قلبه و قال : رزق قد جاء .

و هذا أمر قبيح بمن يقدر به على المعاش و إن لم يقدر كان إخراج ما يملك أقبح لأنه يتعلق قلبه بما في أيدي الناس .

و ربما ذل لبعضهم أو تزين له بالزهد و أقل أحواله أن يزاحم الفقراء و المكافيف و الزمني في الزكاة .

فعليك بالشرب الأول فانظر هل فيهم من فعل ما يفعله جهلة المتزهدين ؟ .

و قد أشرت في أول هذا إلى أنهم كسبوا و خلفوا الأموال .

فرد إلى الشرب الأول الذي لم يطرق فإنه الصافي .

و احذر من المشارع المطروقة بالآراء الفاسدة الخارجة في المعنى على الشريعة مذعنة بلسان حالها أن الشرع ناقص يحتاج إلى ما يتم به .

واعلم ـ وفقك ا تعالى ـ أن البدن كالمطية و لا بد من علف المطية و الاهتمام به .

فإذا أهملت ذلك كان سببا لوقوفك عن السير .

وقد رئي سلمان Bه يحمل طعاما على عاتقه فقيل له : أتفعل هذا وأنت صاحب رسول ا صلى ا عليه و سلم ؟ فقال : [إن النفس إذا أحرزت قوتها اطمأنت] .

و قال سفيان الثوري : [إذا حصلت قوت شهر فتعبد] .

و قد جاء أقوام ليس عندهم سوى الدعاوي فقالوا : هذا شك في الرازق والثقة به أولى

فإياك وإياهم .

و ربما ورد مثل هذا عن بعض صدور الزهاد من السلف فلا يعول عليه ولا يهولنك خلافهم .

فقد قال أبو بكر المروذي : سمعت أحمد بن حنبل يرغب في النكاح فقلت له : قال ابن أدهم فما تركني أتمم حتى صاح علي و قال : أذكر لك حال رسول ا صلى ا عليه و سلم وأصحابه وتأتيني ببنيات الطريق ؟ .

و اعلم وفقك ا : أنه لو رفض الأسباب شخص يدعي التزهد و قال : لا آكل و لا أشرب و لا أقوم من الشمس في الحر و لا استدفئ من البرد كان عاصيا بالإجماع .

و كذلك لو قال و له عائلة : لا أكتسب و رزقهم على ا تعالى فأصابهم أذى كان آثما .

كما قال E : [كفى بالمرء إثما أن يضيع من يوقت] .

و اعلم أن الاهتمام بالكسب يجمع الهم و يفرغ القلب ويقطع الطمع في الخلق فإن الطبع له حق يتقاضاه .

وقد بين الشرع ذلك فقال : إن لنفسك عليك حقا و إن لعينك عليك حقا .

و مثال الطبع من المريد السالك كمثل كلب لا يعرف الطارق فكل من رآه يمشي نبح عليه فإن ألقى إليه كسرة سكت عنه .

فالمراد من الاهتمام بذلك جمع الهم لا غير فافهم هذه الأصول فإن فهمها مهم